تفسير الراغب الأصفهاني

من أول سورة آل عمران وحتى نهاية الآية (١١٣)
من سورة النساء

دراسة وتحقيقا
رسالة دكتوراه

د. عادل بن علي الشدي
عضو هيئة التدريس بجامعة الملك سعود

الجزء الأول

مدار الوطن للنشر

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

مدار الوطن للنشر - الرياض

هاتف : ٤٧٩٢٠٤٢ (٥ خطوط) فاكس : ٤٧٢٣٩٤١ – ص . ب : ٣٣١٠

- البريد الالكتروني : pop@dar-alwatan.com
- موقعنا على الانترنت : www.madar-alwatan.com

قال: «إن ثابت بن قيس[1] من القليل الذي استثنى الله تعالى»[2].

قوله عز وجل: ﴿ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ۝ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾[3]. بيّن أنهم لو قبلوا الموعظة لجمع لهم بين خير الدنيا والآخرة، وذلك هو المعني بقوله: ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى ﴾[4] والصراط المستقيم الذي وعدهم هو الذي حرّض على سؤاله في قوله: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾[5]. وإنما قال: ﴿ مِّن لَّدُنَّآ ﴾ لأنه تعالى لا يكاد ينسب إلى نفسه من النعم إلا ما كان أجلّها قدرًا وأعظمها خطرًا، نحو: وروحنا.

قوله عز وجل: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ

---

(١) ثابت بن قيس بن شماس بن زهير بن مالك الخزرجي الأنصاري، خطيب الأنصار، من كبار الصحابة، شهد أحدًا وما بعدها، بشره النبي ﷺ بالجنة، وقتل يوم اليمامة شهيدًا. انظر: الإصابة (١/ ٥١١)، والتقريب ص (١٣٣).

(٢) ذكره ابن حجر في العجاب (٢/ ٩١٢)، وعزاه لمقاتل. وهو في تفسيره (١/ ٢٥٠).

(٣) سورة النساء، الآيتان: ٦٧، ٦٨.

(٤) سورة محمد، الآية: ١٧.

(٥) سورة الفاتحة، الآية: ٦.

رَفِيقًا ﴾[1]. أصل الرفق: التفكُّر في الأمر والتثبُّت، ويضاده الخرق، وقيل ذلك للمعاونة، ومنه المِرفق والمَرفق[2]، والرفقة للجماعة المعاونة في السفر، والرفيق كالصديق، ويقالان للواحد والجمع[3]، والفرق بين الرسول والنبيّ أن الرسول أخصّ، فكل رسول نبيّ وليس كلُّ نبيّ رسولاً، فإنّ الرسول يختص بمن جعله واسطة بينه وبين عباده لتبيين أحكام بوحيٍ مسموع عن مَلَك، والنبيّ قد يقال لمن يجدد على الناس شريعة من تقدمه وإن كان يوحى إليه بإلهام أو منام وأخصّ من الرسول أولو العزم من الرسل[4]، وقد تقدّم ذكر

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٩.

(٢) قال ابن منظور: «والرفقُ، والمِرْفَقُ، والمَرْفِقُ، والمَرْفَقُ: ما استعين به. وقال الجوهري: والمِرفَقُ، والمَرْفِقُ: موصِلُ الذراع في العضد». لسان العرب (١٠/ ١١٨، ١١٩).

(٣) انظر: الأفعال لابن القوطية ص (١٠١، ١٠٢)، وتهذيب اللغة (٩/ ١٠٩-١١٣)، والصحاح (٤/ ١٤٨٢)، والفروق ص (٢١٥).

(٤) انظر: الزاهر (١/ ٣٤-٣٦)، والمذكر والمؤنث لابن الأنباري (١/ ٢٩١-٢٩٣)، والفروق لأبي هلال ص (٣١٩)، والكليات لأبي البقاء ص (٩٠٠). وأولو العزم من الرسل خمسة ذكرهم الله عز وجل على انفرادهم في موضعين من كتابه؛ في سورة الأحزاب الآية (٧)، وسورة الشورى الآية (١٣) وقد جمعهم الناظم في قوله:

أولو العزم نوحٌ والخليل الممجَّد ... وموسى وعيسى والنبيّ محمد

انظر: محاسن التأويل (٩/ ٥٣٦٩)، وأعلام السنة للحكمي ص (١٠٥).

ذلك[1]، وقد قسّم الله تعالى المؤمنين في هذه الآية أربعة أقسام، وجعل لهم أربعة منازل، بعضها دون بعض، وحثّ كافة الناس أن لا يتأخروا عن منزل واحد منهم؛ الأول: هم الأنبياء: الذين تمدهم قوة إلاهية، ومثلهم كمن يرى الشيء عيانًا من قريب، ولذلك قال تعالى في صفة نبينا عليه الصلاة والسلام: ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾[2]. والثاني: الصديقون: وهم الذين يتاخمون[3] الأنبياء في المعرفة، ومثلهم كمن يرى الشيء عيانًا من بعيد، وإياه عنى أمير المؤمنين/ حيث قيل: هل رأيت الله؟ فقال: ما [٢٧٦/ب] كنت لأعبد شيئًا لم أره، ثم قال: لم تره العيون بشواهد العيان، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان[4]. والثالث: الشهداء: وهم الذين يعرفون الشيء بالبراهين، ومثلهم كمن يرى الشيء في المرآة من مكان قريب، كحال حارثة[5]، حيث قال: كأني

---

(١) انظر: تفسير الراغب (ق ١٦٩ - مخطوط).

(٢) سورة النجم، الآية: ١٢.

(٣) يتاخمون: أصل المتاخمة: الفصل بين الأرضين من المعالم والحدود والمعنى هنا: يقاربون. انظر القاموس ص (١٣٩٩).

(٤) هذا قول محمد بن علي ابن الحسين، أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٥٤/ ٢٨٣).

(٥) الحارث بن مالك الأنصاري لم يذكر مترجموه شيئًا عنه سوى هذا الحديث الذي أورد الراغب قطعة منه، وهو أن النبيّ ﷺ قال له: «كيف =

أرى عرش ربي[1]. وإياه قصد النبي ﷺ، حيث قال: «اعبد[2] الله كأنك تراه»[3]. والرابع: الصالحون: وهم الذين يعلمون الشيء بإقناعات وتقليدات للراسخين في العلم، ومثلهم كمن يرى

= أصبحت يا حارث؟» قال: أصبحت مؤمناً حقًّا. فقال: انظر ما تقول فإن لكل شيء حقيقة فما حقيقة إيمانك؟» فقال: قد عزفت نفسي عن الدنيا، وأسهرت لذلك ليلي، وأظمأت نهاري، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزًا...» الحديث. انظر: أسد الغابة رقم (٩٥٧)، والإصابة رقم (١/ ٦٨٩).

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٣/ ٢٦٦، ٢٦٧) رقم (٣٣٦٧)، وابن أبي شيبة: في كتاب الإيمان ص (٤٣) وضعفه الألباني في تحقيقه لهذا الكتاب ص (٤٣) هامش رقم (١٠٥).

(٢) في الأصل «اعبدوا» بواو الجماعة والمحفوظ الإفراد.

(٣) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان رقم (٥٠). ومسلم في كتاب الإيمان، باب «بيان الإيمان والإسلام والإحسان» رقم (١)، وأبو داود في كتاب السنة، باب «في القدر» رقم (٤٦٩٥). والترمذي في كتاب الإيمان، باب «ما جاء في وصف جبريل للنبي ﷺ الإيمان والإسلام» رقم (٢٦١٠)، وقال: حسن صحيح، والنسائي في كتاب الإيمان، باب «نعت الإسلام» (٨/ ٩٧). وابن ماجه في المقدمة، باب «في الإيمان» رقم (٦٣)، وأخرجه أحمد (١/ ٢٧ ـ ٢٨)، والطيالسي رقم (٢)، وابن أبي شيبة (١١/ ٤٤، ٤٥)، وابن حبان رقم (١٦٨، ١٧٣)، وابن خزيمة رقم (١، ٢٥٠٤)، والبغوي رقم (٢)، والبيهقي في الشعب رقم (٣٩٧٣).

الشيء من بعيد في مرآة، وإياه قصد النبي ﷺ بقوله: «اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[1]، أي كن من الشهداء بما تكتسبه من العلم والعمل الصالح، فإن لم تكن منهم فكن من الصالحين، وتقدير الآية على وجهين: أحدهما: من أطاع الله ورسوله منكم ألحقه الله بالذين يقدمهم ممن أنعم عليهم من الفرق الأربع في المنزلة والثواب، النبي بالنبي والصّدّيق بالصديق، والشّهيد بالشّهيد والصّالح [بالصّالح][2]. والثاني: أن قوله: ﴿مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ يتعلّق بقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ إشارة إلى الملأ الأعلى، ثم قال: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ ويبين ذلك قول النبي عليه الصلاة والسلام في حين الموت: «اللهم ألحقني بالرفيق الأعلى»[3]، وهذا

---

(١) تقدم تخريجه في الهامش السابق. وقد نقل أبو حيان كلام الراغب بتمامه في تقسيم المؤمنين إلى أربعة أقسام ثم قال بعد أن ذكره: «وهو شبيه بكلام المتصوفة» البحر المحيط (٣/ ٣٠٠).

(٢) ساقطة من الأصل والسياق يقتضيها.

(٣) رواه البخاري في الرقى، باب «تمني المريض الموت» رقم (٥٦٧٤). ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، رقم (٢٤٤٤). ومالك في الموطأ في كتاب الجنائز، باب «جامع الجنائز» (١/ ٢٠٦)، رقم (٤٦). وأحمد في المسند (٦/ ٨٩)، والبيهقي في الدلائل (٧/ ٢٠٨).

ظاهر[1]، وهذه الآية كأنها مردودة إلى ما تقدّم من قوله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾[2] فلما تمّم القصة بيّن ما لمطيعهم من الثواب بهذه الآية، ورُوِي أن رجلًا من الأنصار جاء إلى النبي ﷺ كئيبًا، فقال: يا رسول الله نحن نغدو[3] عليك ونروح ننظر في وجهك ونجالسك، وغدًا ترفع إلى النبيين فلا نصل إليك. فسكت النبي ﷺ فجاءه جبريل عليه السلام بهذه الآية[4].

---

(١) اعترض أبو حيان على ما ذكره الراغب في الوجه الثاني حيث قال بعد أن أورد كلام الراغب: «وهذا الوجه الذي هو عنده ظاهر فاسد من جهة المعنى ومن جهة النحو، أما من جهة المعنى، فإن الرسول هنا هو محمد ﷺ، أخبر الله تعالى أن من يطيعه ويطيع رسوله فهو مع من ذكر. ولو كان ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ﴾ معلقًا بقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ لكان قوله: ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ﴾ تفسيرًا لـ ﴿مَن﴾ في قوله: ﴿وَمَن يُطِعِ﴾، فيلزم أن يكون في زمان الرسول أو بعده أنبياء يطيعونه، وهذا غير ممكن، لأنه قد أخبر تعالى أن محمدًا هو خاتم النبيين. وقال هو ﷺ: «لا نبيّ بعدي». وأما من جهة النحو: «فما قبل فاء الجزاء لا يعمل فيما بعدها...» البحر المحيط (٣/ ٣٠٠).

(٢) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٣) في الأصل: (نغتدوا) وهو تصحيف، والصواب ما أثبته.

(٤) رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٨/ ٥٣٤)، وبنحوه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٩٩٧). وانظر: الوسيط (٢/ ٧٧)، وأسباب النزول ص (١٦٥، ١٦٦)، ومعالم التنزيل (٢/ ٢٤٧)، والعجاب (٢/ ٩١٢).

قوله عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾[1].

لما كانت نعم الله تعالى ضربين: دنيويًا ولا يصل إلينا من الله إلا بواسطة، أو وسائط كالمال والجاه وغير ذلك. وأخرويًا يصل إلينا لا بواسطة، بين الله تعالى أن ذلك الفضل الذي ذكره بقوله: ﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾[2] هو من الله على الإطلاق، فنسب إلى نفسه تفخيمًا لأمره، كما قال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾[3]، / وقوله: [1/277] ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾[4] ونحو ذلك، فخبر الابتداء على هذا هو ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾، ويجوز أن يكون مبتدأ، و ﴿ٱلْفَضْلُ﴾ خبره، كقولك: ذاك هو الرجل، وهذا هو المال، تنبيهًا على كماله، فإن الشيء إذا عظم أمره يوصف باسم جنسه، كقوله: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾[5]، ويكون قوله: ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ في موضع الحال، أو خبر ابتداء مضمر[6]، ثم قال: ﴿وَكَفَىٰ

---

(1) سورة النساء، الآية: 70.

(2) سورة النساء، الآية: 69.

(3) سورة الفاتحة، الآية: 4.

(4) سورة التحريم، الآية: 12.

(5) سورة العنكبوت، الآية: 64.

(6) الوجه الأول وهو كون (من الله) الخبر هو قول النحاس في إعراب القرآن (1/470)، وأجاز أبو البقاء الوجهين، انظر: إملاء ما منَّ به الرحمن (1/193).